السّيرةُ ومَا حوَلها..

بعد وفاة النّبي ﷺ إكتفى المؤرخ المسلم بسرد الأحداث التي كانت في حياته ﷺ، "وذلك لأنَّ المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهلية للتّاريخ، وهي نظرة قائمة على الأيام وطبيعة الحرب وشؤون القتال، ولذلك اهتم كُتّاب السّير قبل كل شيء، بمغازي الرّسول، وتصوير ذلك الدّور الحربي"[1] وعلى امتداد السّنين والحقب حظت السّيرة النّبوية بالإهتمام والعناية يفوقان التّصور والخيال، وذلك لأسباب كثيرة منها:

١- أنَّ السّيرة النّبوية ليست أخباراً تنقل للعلم فقط، مثل باقي أخبار التّاريخ، بل هي وسيلة للاقتداء بهدى النّبي محمد ﷺ والتّأسي به، تصديقا لقوله سبحانه: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً }(سورة الأحزاب الآية: ٢١) فالرّسول ﷺ قدوة للمسلمين، وسيرته هي الصّورة المثلى للحياة الإنسانية الرّاقية.

٢- السّيرة النّبوية تعدّ وسيلة عملية لفهم القرآن، وهي ترجمة حية له. ولأنّها قد دونت في طياتها كثيراً من أسباب النّزول والوقائع القرآنية.

٣- السّيرة النّبوية العطرة فضلاً عما مر تقف بالقارئ على بداية الأحداث الكبرى التي غيرت وجه التّاريخ فيما بعد، وأدت إلى سقوط دولتي الفرس والرّوم، وأدت إلى بروز الحضارة الإسلامية ودولها، وفجرت ينابيع الحكمة للخلق.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[1] فن السّيرة: د. احسان عباس، دار الشّروق، عمان، الاردن، ط٥، ١٩٨٨م، ص ١٤.

٤- ولا ننسى أنَّ للسّيرة النّبوية دوراً رائداً ومهماً في توحيد الأمة الإسلامية، إذ إنّها الجزء التّاريخي المشترك بينها جميعا، على الرّغم من اختلاف ألوانها والسّنتها وبلدانها.

مصطلح السّيرة:

تتكوَّن حياة كل إنسان وسيرته من نوعين من الوقائع:

الأوَّل: وقائع يتشكَّل بها(تاريخ حياته) بدءً بولادته وظروف نشأته وانتهاءً بوفاته وظروف موته، وطبيعة هذا النّوع من الوقائع غير قابل للتّكرار والإعادة.

الثّاني: وقائع تتشكَّل بها(طريقته في الحياة) ونهجه ومذهبه العملي فيها وتتألف من عاداته اليومية وسلوكه العام إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وطبيعة هذا النّوع من الوقائع متكرر ومعاد ومن هنا سمِّي(عادة) و(طريقة)، والأنبياء بشرٌ لا تشذ حياتهم وسيرتهم عن التّقسيم الآنف الذّكر. ومصطلح السّيرة أحوجُ ما يكون إلى الكشف والإبراز، وسأشرع بإذن الله في تفصيل ذلك بذكر أصل معناه في اللّغة، وحقله الدّلالي الذي سوغ انتقاله من عموم اللّغة إلى خصوص الاصطلاح.

دلالة السّير: السّير في اللّغة "الذّهاب؛ كالمسير، والمسيرة، والسّيرورة، والاستيار"[1]، والفعل سار، ومضارعه يسير؛ لأنَّ أصله سَيَرَ. وهو يستعمل



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

[1] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥، مادة : سير.

لازماً ومتعدياً، قال ابن منظور "وســـارَ البعيرُ، وسِرْتُهُ أنا، وسارت الدّابة، وسارها صاحبُها يتعدى ولا يتعدى"[٢].

ومعنى المتعدي الرّكوب، فإذا أراد بها صاحبها المرعى قال أَسَرْتُها إلى الكلأِ، ويقال أيضاً أَسَارَ القوم أهلهم ومواشيهم إلى الكلأِ؛ وهو أنْ يرسلوا فيها الرّعيان، ويقيموا هم، ويستعمل المتعدي أيضاً؛ ويراد به الإبلاغ[٣].

قال ابن منظور: "أي سارت الخيلُ الرّجالَ إلى الرّجالِ، وقد يجوز أنْ يكون أراد وسارت إلى الرّجال بالرّجال؛ فحذف حرف الجر ونصب، والأوّل أقوى"[٤].

والمعنى أنَّك جعلتها سائرة في النّاس.

ومن المعاني التي يدل عليها تعلق هذه المادة بحروف الجر ســـايره سار معه، وتســـاير عنه الشّيء سار وزال، يقال فلان لا تُسايَرُ خَيْلاَهُ؛ إذا كان كذابا، ويقال سِرْ عنك؛ أي تغافل واحتمل.

ومن أسماء المفعول دابة مُسَيَّرة؛ إذا كان الرّجل راكبها أو سائراً لها، والماشية مُسَارَة، والقوم مُسَيَّرون، وطريق مَسُورٌ فيه، ورجل مَسُورٌ به.

وأما دلالات بعض مصـــادر اللّازم الآنفة فالْمَسيرة تستعمل مصدراً بمعنى الســـّير؛ كالمعيشة، والْمَعْجِزة- بفتح الميم وكسر المعجمة- ويستعمل



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٢] المصدر نفسه، مادة: سير.

[٣] ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللّغة العربية: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦: ٦/ ٤٥.

[٤] لسان العرب: مادة: سير.

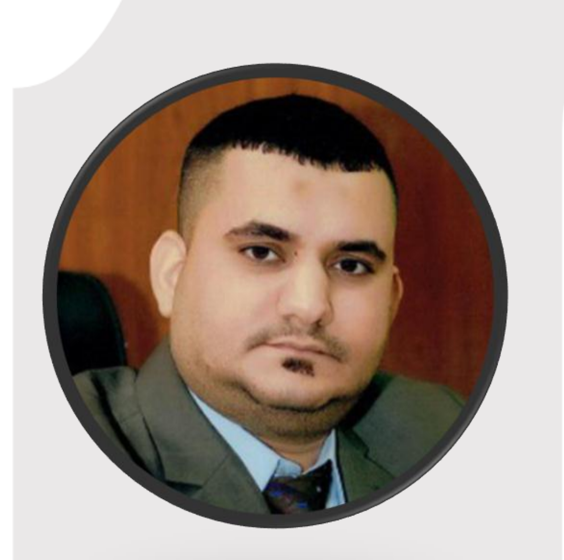
أيضاً بمعنى المسافة التي يسار فيها من الأرض، كالمترلة والمتهَمة- بفتح الهاء- ، ومنه قول النّبي ﷺ (نُصِرْتُ بِالرّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)[٢].

والسّير الذّهاب والاسم منه السّيرة، والسّيرة الضّرب من السّير، والسّيرة السّنة، والسّيرة الطّريقة. يقال: سار بهم سِيرة حسنة، والسّيرة: الهيئة، وفي التّنزيل: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُوْلَى}(سورة طه الآية: ٢١)، وسَيَّر سِيرة: حدَّث أحاديث الأوائل[٣].

ومن الأوصاف المشتقة من هذا الأصل سُيَرَة- كهُمزة، ومعناه الكثير السّير.

قال ابن منظور ملخصًا ما سبق، ومبينًا وجهَ انتقال(السّيْرِ) من المصدرية إلى الاسمية : "والاسم من كل ذلك السّيرة"[٤].

وقد ذكر أهل اللّغة لاسم(السّيرة) أربع دلالات؛ فقالوا: "السّيرة الضّرب من السّير، والسّيرة السّنة، والسّيرة الطّريقة، والسّيرة الهيئة"[٥] وهناك ترابط بين السّيرة والمغازي والتّاريخ أيضاً سيأتي ذكرها لاحقاً بالتّفصيل.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

[٢] صحيح البخاري الجامع الصّحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محب الدّين الخطيب، المكتبة السّلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠، ١: ٤٣٥ /٤٣٦.

[٣] لسان العرب، مادة: سير.

[٤] المصدر نفسه : سير.

[٥] ينظر: مقاييس اللّغة، و المعجم الوسيط: إبرهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة، اسطنبول، تركيا، ١٩٨٩، مادة: سير.

- فأما(الضــرب من السّير) فأصل الضّرب الصّيغة؛ يقال: "هذا من ضرب فلان؛ أي من صيغته؛ لأنّه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه"[١].

ويطلق الضّرب ويراد به الصّفة، والصّنف من الأشياء؛ يقال هذا من ضرب فلان؛ أي من نحوه وصنفه، قال الشّاعر[٢]:

والضــرب أيضاً المثال، وقد بيّن ابن منظور أنّه المراد من قوله تعالى: {ضَــرَبَ لَكُم مَثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ} (سورة الرّوم الآية: ٢٨)؛ قال: "أي وصف وبيّن، وقولهم ضرب له المثل بكذا؛ إنّما معناه بيّن له ضرباً من الأمثال؛ أيّ صــنفاً منها"[٣]. فالضــرب من السّير- على هذا- صيغة منه، وصفة منه، ومثال منه. وأما الســُّنة- لغة: السّيرة أو العادة أو الطّريقة المبتدأة، حسنة كانت أم ســيئة، غير أنَّ أهل اللّغة اتفقوا على أنَّ كلمة السُّنة إذا أُطلقت انصــرفت إلى الطّريقة أو السّيرة الحميدة فقط، ولا تستعمل في غيرها إلا مقيدة[٤].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[١] مقاييس اللّغة، مادة: ضرب.

[٢] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: أبو بكر الزّبيدي، تح: عبد العليم الطّحاوي، مراجعة، محمد بهجت الاثري وعبد الســتّار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٨، مادة: ضرب.

[٣] لسان العرب، مادة : ضرب.

[٤] ينظر: لسان العرب؛ تاج العروس؛ المعجم الوسيط، مادة: سنن.

فالسّنة اصطلاحا: "هي أقواله ﷺ غير القرآن الكريم، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخُلقية والخَلقية، وسائِر أخباره أ كان ذلك قبل البعثة أم بعدها"[٥].

وإذا نظرنا إلى هذا التّعريف وجدناه يلتقي في كثير منه مع موضوع علم السّيرة، فدراسة الصّفات الخُلقية للنّبي ﷺ ودراسة أحواله قبل البعثة وبعدها، كل ذلك من موضوعات علم السّيرة، وهو في الوقت ذاته من موضوعات السُّنة، وهذا يوضح مدى العلاقة بين هذين العلمين الجليلين، وإنْ كانت هناك بعض الفروق التي لا تخرم هذه العلاقة ولا تخل بها، منها:

١- أنَّ هناك عموماً وخصوصاً بين كل من السّيرة والسّنة بمعنى أنّهما يجتمعان في أشياء وينفرد كل علم منهما عن الآخر بأشياء، فيجتمعان في بيان صفة أكله ﷺ وشربه ونومه وما شابه ذلك، وتنفرد السّيرة بالتّعرض لتحديد ليلة مولده ﷺ، والتّعريف بنسبه وأجداده ومكانة أجداده ﷺ في قومهم وطهارتهم وقيامهم على خدمة بيت الله الحرام، وكثير من شؤونه ﷺ كالآبار التي شرب منها، وكثير من أخبار المغازي مثل عدد من شهدها وتوقيتها، وكم من أشياء انفردت بها السّيرة احتاجها شراح الحديث في شروحهم[١].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٥] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول: محمد بن علي الشّوكاني، تح: أحمد عناية، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٣.

[١] ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تح عبد القادر شيبة الحمد، الرّياض، ١٤٢١، ٦/٤٤.

وتنفرد السّنة بأحاديث الأحكام، والتّي فيها النّهي عن الرّبا، وشريعة الخيار، وشريعة الحوالة، والرّهن وما شابه ذلك[٢].

ويقول راجح عبد الحميد كردي: "كانت سيرته ﷺ تُنقل وتُروى على أنّها أحداث الدّين، بكلِّ ما فيها من أقوال وأعمال، وهدى وسلوك، وجهاد وقتال، حتى كان الفصل لأقواله وأفعاله وتقريراته في كتب الحديث، حينما بدأ تدوين كتب السـُّـنة، وبقيت بعد ذلك روايات السّيرة بمفهومها العلمي، ولابد أنْ نعيد إلى الأذهان أنَّ السّيرة بمفهومها العام قبل التّقسيمات العلمية لها سـنة وسيرة- أو مغاز وسير- تشمل كتب السّنة وكتب السّير ولهذا تتسـم بالكمال والشّمول والحيوية"[٣]، وقام المسلمون بالفصل بين السـّيرة والسـُّـنة " وكان الدّاعي إلى مثل هذا الفصل هو حاجة المسلمين لروايات الحديث في نطاق الأحكام والاستدلال الفقهي، وعدوا ما بقي من ذلك- مما سمى بالسـّيرة- أموراً شخصية أو عامة يرجع إليها المسلم بصدد إنماء العلاقة بين المسلمين ورسولهم ﷺ لمعرفة شخصيته، وأبرزوا فيها ما سـبق ولادته ﷺ من الأحداث، وما تلاها، ثم بعثته إلى النّاس ودعوته لقومـه وصـبره على أذاهم، ثم هجرته وما تلاها من تركيز على غزواته وجهاده ثُم انتقاله إلى الرّفيق الأعلى"[٤].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٢] السّيرة النّبوية في ضوء القران والسّنة: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، د.ت: ١/٧-٨.

[٣] شعاع من السّيرة النّبوية في العهد المكي: راجح عبد الحميد كردي، دار المأمون للنّشر والتّوزيع، عمان، الاردن، د.ت: ٦.

[٤] المصدر نفسه: ٦.

٢- إنَّ الكتابة في السـّيرة النّبوية يُراعى فيها الزّمان وأحداثه وذلك غير الكتابة في الحديث حيث المنهج فيه يختلف بمنهج الكتاب وغرض مؤلفه وجامعه، وهو فيه يدور على أمرين:

أولهما: يتناول أقوال الرّسول ﷺ من حيث دلالتّها على الأحكام الشّرعية كما في الكتب السّتة وسنن الدّارمي والموطأ الخ...

ثانيهما: يتناول الحديث من حيث مرويات الصـّحابة والشـّيوخ كالمسانيد والمعاجم الخ..

- وأما(الطّريقة) فمِن(طَرَقَ)، وقد رده ابن فارس إلى أربعة أصـول "الإتيان مساء، والضّرب، وجنس من استرخاء الشّيء، وخَصف شيء على شيء"[١].

ورده الرّاغب الاصـفهاني إلى الضّرب فقال: "الطّريق السّبيل الذي يطرق بالأرجل؛ أي يضـرب"[٢]، واسـتشهد بقوله تعالى:{فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَســاً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى}؛(سورة طه الآية: ٧٧)، قال: "والطّرق في الأصـل كالضـّرب؛ إلا أنّه أخص؛ لأنّه ضـرب بوقع كضرب الحديد بالمِطرقة، ويتوسع فيه توسعهم في الضّرب"[٣].

[١] مقاييس اللّغة مادة : طَرَقَ.

[٢] المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني، تح محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ت: ٥١٨.

[٣] االمفردات في غريب القران: ٥١٨.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

وقال الجوهري في الصـــّحاح"الطّريقة أطول ما يكون من النّخل بلغة اليمامة، والجمع طريق)[٤]. وقال الفيروزآبادي(الطّريقة النّخلة الطّويلة)[٥]، إذن فالطّريقة حسب ما سبق أطول النّخل، والنّخلة الطّريقة الملساء الطّويلة، وهو ما يعرف اليوم باللّهجة العراقية بالنّخلة العيطة أو العيطاء.

والطّريقة السّيرة[٦].

فهذه ثلاث دلالات للفظ الطّريقة؛ تتقاسمها ثلاثة مراجع: الامتداد، والرّفعـــة، والحـــال، لكن المهيمن عليها الأوّل، الامتداد لكثرته، وتوقف المعنيين الآخرين عليه؛ إذ لا يتصور التّخلق بحال دون اعتياده، وطول طرقه، كما لا تتصور الرّفعة في شأن ما لم تطل استقامة صاحبه عليه.

هذا مجمل ما يقتضـــيه بيان معنى(مصـــطلح السّيرة النّبوية) من ذكر دلالتـــّه اللّغوية، ومحيطه الدّلالي، وهي ســـبيل أهل كل علم وديدنهم حين يُسألون عن دلالة مفردة من المفردات.

ولا يخفى ما بين علم الاصـــطلاح وعلم اللّغة من وثيق الصّلة، وأنَّ اللّغة قاعدة الاصـــطلاح، ومادته الأولى الرّابطة بين شطري الدّلالة(اللّفظ والمعنى).



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٤] تاج اللّغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠، مادة: طرق.

[٥] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت، مادة: طرق.

[٦] لسان العرب، مادة: طرق.

وفيمـــا يلي اســتكمال ما يلزم بالحديث عن المخرج الدّلالي الذي انبجس عنه هذا المصطلح الجليل، وأطوار نضجه الماهدة لامتداده وسموقه.

ويعســـر ضبط المراد من السّيرة النّبوية بوجه دقيق، إذا استثنينا عمومَ تعلقها بشـــخص النّبي ﷺ فهل المراد ما يتعلق من أحواله بالتّشـــريع، أو المراد ما جلَّ ودقَّ من خاصـــة شأنه الأجل مما لا تكليفَ فيه، فتصير الغاية منه مُجرد الإخبار عن النّبي ﷺ والتّنويه بشـــأنه، يحســـن قبل بيان دلالة المصطلح بيان أمرين:

الأوّل: المخرج الدّلالي الذي يكشف اتساع الحد لاستيعاب أجزائه.

الثّاني: الوقوف على أوائلِ اســتعمال المصــطلح في كلام أهْلِ هذا الشّأن المتقدمين لتتبع أطوار تخلُّقه قبل أنْ ينضجَ ويستوي.

١- المخرج الدّلالي:

سبقت الإشارةُ إلى أنَّ السّيْر في اللّغة الْمُضِيُّ؛ ومنه قوله تعالى: {قَدْ خَلَــتْ مِن قَبْلِكُمْ ســُنَنٌ فَســِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}(ســورة آل عمران، الآيتان: ١٣٧- ١٣٨)، وقد ورد في ســبعة وعشرين موطناً من القرآن الكريم، وهذا أحدها، وسائرها لا يَخرج عن هذا المعنى سوى موطن واحد؛ هو في قوله تعالى عن عصا النّبي موسى(عليه السّلام): {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}(سورة طه الآية: ٢١). والسّيرة- كما قال الرّاغب-: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزية أو مكتسبة، يقال فلان له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة، وقوله



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

سبحانه: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ} أي الحالة التي كانت عليها من كونها عُودًا[1].

وهذا المعنى وغيره في الآيات الأخرى، والفرق بينهما هو الحدُّ الفاصل بين معنى السّيرة في اللّغة ومعناها في الاصطلاح، وهو المرجعُ الذي يسوّغ به ضبط المناسبة بين فحوى المصطلح وموضوع العلم الذي جُعِلَ عِلماً عليه.

قال محمد الطّاهر بن عاشور في بيان معنى الآية والسّيرة في الأصل هيئة السّير، وأُطلقت على العادة والطّبيعة[2].

من خلال العرض يتبين الآتي:

١- أوّل ما يومئ إليه هذا التّوجيه اتساع مخرج المصطلح الدّلالي لتناول عامَّة أفراده، ولا يخفى شرط المناسبة بين المصطلح وبين ما يطلق عليه، وحاجته إلى ما يكفل له الاستقلال من ذاته؛ ولاسيَّما إذا وجِدَت مصطلحات أُخَر تقع على بعض ما يقع عليه، أو يشتبه وقوعها على كلِّه؛ فيلجأ إلى التّقييد والاستثناء حال الإطلاق؛ مَخافة الاشتباه.

٢- أوائل استعمال مصطلح السّيرة:

مرَّ مصطلح السّيرة في بدايات نشوئه بأطوارٍ ثلاثة رسخ بها أصله:



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[1] المفردات في غريب القران: ٤٣٣.

[2] تفسير التّحرير والتّنوير: محمد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسية للنّشر، د.ت: ١١٨٨.

١- قـــال غيلان بن جرير: كنَّا ندخل على أنس بن مالك، فيُحدثنا بمناقب الأنصـــار ومشـــاهدهم، ويقبل على رجل من الأزد، فيقول: فعل قومك يوم كذا كذا وكذا[٣].

قال ابن حجر(ت٨٥٢هـــ) معلقاً على هذا الخبر: أي يحكي ما كان من مآثرهم في المغازي ونصـــر الإسلام في خبر غيلان بن جرير دلالة على وقوع العناية بشـــأن الســـّيرة في زمن الصّحابة(رضي الله عنهم) وأنَّه كان عبارة عن مجالسّ مخصـــوصة بصنف من الدّرس مخصوص، وكان موضوعه مآثر الأنصار في المغازي[٤].

ولا جرمَ أنَّ هـــذه المجالسّ كانت مهاداً لما تلاها من العناية بالمغازي والســـّيرة على نحو أرسخ وأشمل؛ لأنَّ الغاية من شهود الصّحابة(رضي الله عنهم) المشاهد مع النّبي ﷺ نصره ومنعه؛ فتعلقها به هو الأصل.

وفيه أيضاً إشارة إلى الصّورة التي آل إليها منهجُ التّصنيف في السّيرة النّبوية، وهي ذكر الأيام والأحوال على جهة الإحصاء والإشادة والتّنويه.

٢- ظهرت سيرة الرّسول ﷺ بالمعنى الدّقيق للكلمة في كتب كبيرة نسبيّاً باسم المغازي، وقد عرفت هذه الكتب في وقت مُبكر باسم السّيرة، وربُّما يكون الزّهري أوّل من استخدم كلمة السّيرة مصطلحاً لذلك[١].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٣] صحيح البخاري: ٧٩٠ .

[٤] ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٧١١.

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١/ ٤٥٢.

وفي كلام سزكين على أنَّ الزّهري أوّل من استعمل مصطلح السّيرة، ويُؤيده قول السّهيلي عن سيرة الزّهري وهي أوّل سيرة في الإسلام[٢].

وأفاد سزكين أنَّ ارتباطَ لفظ السّيرة بالزّهري أكثر من ارتباطه بسَلَفِه ومُعاصـــريه ممن كانت لهم صلة بالمغازي؛ لكن ليس بأيدينا ما يثبت أنّه قد عرَّفه تعريفاً صريحاً.

٣- قَالَ ابْنُ هِشَام وهو "عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدّين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللّغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه(السيرة النبوية) المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله(القصائد الحميرية) في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و(التّيجان في ملوك حمير) رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و(شرح ما وقع في أشعار السّير من الغريب)"[٣] : "وَأَنَا إنْ شَاءَ اللهُ مُبْتَدِئٌ هَذَا الْكِتَابَ بِذِكْرِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ، وَمَنْ وَلَدَ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مِنْ وَلَدِهِ وَأَوْلَادِهِمْ لِأَصْلَابِهِمْ الْأَوّلَ فَالْأَوّلَ مِنْ إسْمَاعِيلَ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَمَا يَعْرِضُ مِنْ حَدِيثِهِمْ وَتَارِكٌ ذِكْرَ غَيْرِهِمْ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ لِلِاخْتِصَارِ"[٤].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٢] الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبوية لابن هشام: أبو القاسم السّهيلي(ت٥٨١هـ)، تح: مجدي بن منصور الشّوري، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩: ٢١٤.

[٣] الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥ ، ٢٠٠٢: ٩/١٦٦.

[٤] السّيرة النّبوية: ابن هشام: تح: مصطفى السّقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٧: ١/ ١٨.

يظهر من كلام ابن هشام المستل من مقدمة تهذيبه لسيرة ابن إسحاق أنَّ ما استغنى عنه مما جمعه ابن إسحاق ليس من شرطِ السّيرة عنده، وأنَّه لم يبقِ إلا ما فيه ذكر لرسول الله ﷺ من تلك الأخبار.

وقوله: وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصارِ إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، مُصرحا بغاية اختصاره، وهي الاكتفاء بما يوافق عنوان الكتاب من مضـــامينه، وهنا نتسائل هل يمكن أنْ تُختصر ســـيرة النّبي ﷺ وهل هذا يصلح لأنَّ يتخذ ضابطاً قويّاً لمصطلح السّيرة، ونجد أنَّ ابنَ إسحاق قد وضع كتابه ابتداءً من تاريخ الخليقة عامة إلى وفاة النّبي ﷺ، فلما اختصـــره ابن هشام صار أقساماً ثلاثة المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

فكأنَّ ابن هشام إنَّما راعى في اختصارِهِ وَضْعَ الحد العام للسّيرة حين ترك ما لا صِلَةَ له برسول الله ﷺ من الأخبار إلى ما له به صلة على جهة الإفراد، وهذا ما دعاه لحذف بعض فضـــائل الإمام علي(عليه الســّلام) والصّحابة الكرام(رضي الله عنهم) من الكتاب بحجة أنَّها لا علاقة ولا صلة لها بالســّيرة مع العلم أنَّ الامام علي(عليه السّلام) والصّحابة قد أدوا دوراً كبيراً في نشوء الاسلام والدّفاع عنه ولا يمكن أنْ يُخفي ذلك ابن هشام ولا من سبقه ولا من سيأتي بعده اطلاقاً، "..... والحقائق التي أخفاها ابن هشام، أبى الله ســـبحانه وتعالى إلا أنْ يظهرها(.....) فالطّوســـي وهو من أكابر علماء القرن الســّادس الهجري ذكر كل تلك الفضـــائل في تفسيره مجمع البيـــان، وذكر ابن الجوزي في المنتظم قســـما منها، وكذلك ذكر ابن



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

الاثير(ت٦٣٠هـ) في الكامل في التّاريخ قسما آخر، وغيرهم كثير"[١] أما علمياً فهذا أوّل استعمال مفصّل للمصطلح، وأول تلميح إلى ضابطه الدّقيق.

وهو أكثر وضوحاً من استعمال الزّهري ذاك مجمل، وهذا مفصّل، فالزّهري أفرد السّيرة النّبوية بالتّأليف، وابن هشام وقف عند الإطلاق، ثم كشف ضابطه، وأبرز مراجع أفراده.

فالذّين صنّفوا في السّيرة النّبوية بعده، وسمّوا بها مصنفاتهم- تابعون له في ذلك، وكما أنَّ اسمه نسخ اسم ابن إسحاق في نِسْبة الكتاب إليه، فكذلك غابت معه التّسمية بالمغازي، وحل مَحلَّها لفظ السّيرة في عصور التّصنيف اللّاحقة حتَّى اليوم، وقد قال ابن خلكان- في سياق ترجمة ابن إسحاق بعد ذكر سيرته- "وهي الموجودة بأيدي النّاس المعروفة بسيرة ابن هشام"[٢]. ومن هنا يتبين لنا أنَّ كاتب السّيرة حقاً هو ابن اسحاق وليس ابن هشام وكأنَّ ابن هشام قد سطا على سيرة ابن اسحاق وشذبها وحذف ما لم يوافق الهوى العباسي فيها، علماً أنَّ ابن اسحاق قد كلفه الإمام الصّادق عليه السّلام في كتابة سيرة الرّسول، وما يؤيد ذلك قول المحققين لسيرة ابن هشام في حديثهم عن ابن اسحاق: "ولكن بعض الدّارسين يرى أنَّ ابن اسحق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة*، ولا في بغداد أو الحيرة،



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[١] محمد بن اسحاق الرّائد في كتابة السّيرة النّبوية: د. عبد اللطّيف الطّائي، مجلة سبيل، العراق، بغداد العدد١٧، ٢٠١٠: ٣٦.

[٢] وفيات الأعيان وأنباء الزّمان: أبو العباس شمس الدّين بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار الثّقافة، ١٩٦٨: ٣١٧/٧.

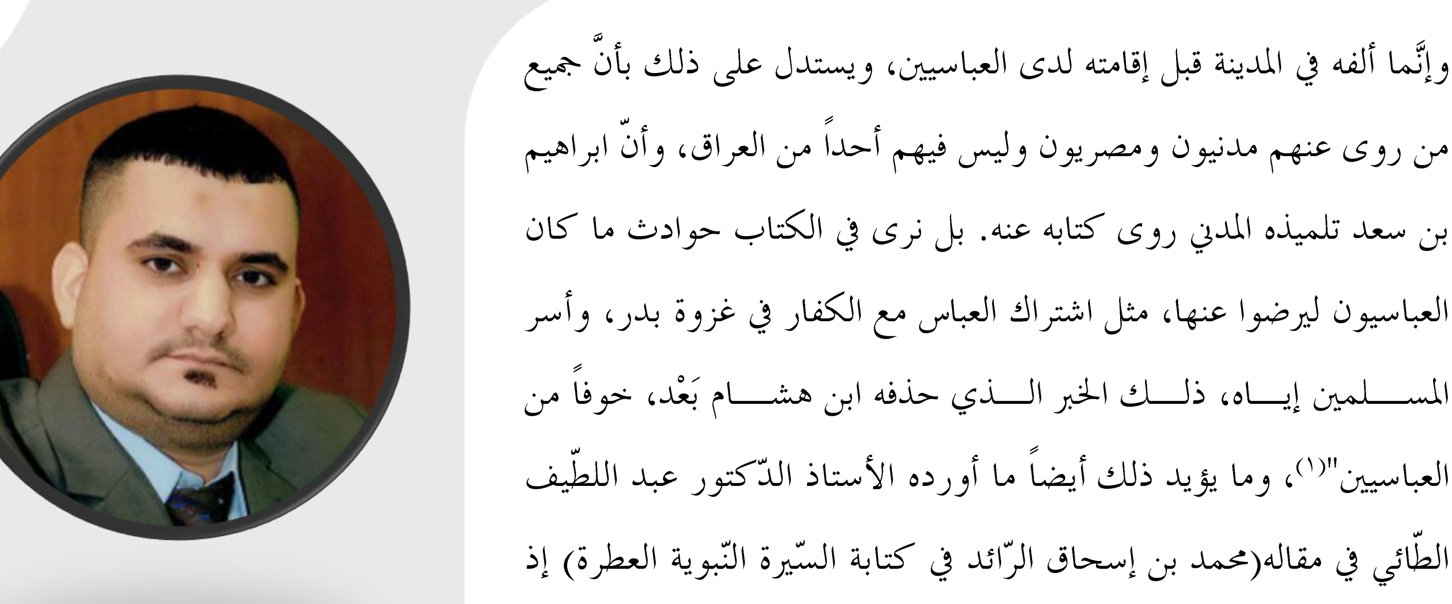
* المنصور العباسي.

وإنَّما ألفه في المدينة قبل إقامته لدى العباسيين، ويستدل على ذلك بأنَّ جميع من روى عنهم مدنيون ومصريون وليس فيهم أحداً من العراق، وأنّ ابراهيم بن سعد تلميذه المدني روى كتابه عنه. بل نرى في الكتاب حوادث ما كان العباسيون ليرضوا عنها، مثل اشتراك العباس مع الكفار في غزوة بدر، وأسر المسلمين إياه، ذلك الخبر الذي حذفه ابن هشام بَعْد، خوفاً من العباسيين"[1]، وما يؤيد ذلك أيضاً ما أورده الأستاذ الدّكتور عبد اللطّيف الطّائي في مقاله(محمد بن إسحاق الرّائد في كتابة السّيرة النّبوية العطرة) إذ إنّه يفصل القول والاستشهادات الموثقة والدّلائل الواضحة حول ذلك وأجد نفسي متفقاً مع الدّكتور فيما أورده.

أمَّا اختلاط السّيرة بالمغازي في استعمال بعضِ المصنفين، فمردُّه إلى أسباب لم يقصدوها، فكأنهم كانوا لا يفرقون بينهما، إلا أنَّ تغليبَ استعمال السّيرة بدلاً من المغازي يغري الباحث بتعقب المصطلحين، والموازنة بينهما.

وقد لخص ذلك مطاع الطّرابيشي في ثلاثة أمور، فقال أنَّ السّيرة- بصيغة المفرد- إمتازت بأمور الأول: أنَّها ظهرت أوّل ما ظهرت مع عمل ابنِ هشام صاحب السّيرة المنسوبة إليه، فهو أوّل من اشتهرَ بها واشتهرت به.

الثّاني: أنَّها تعبير صريحٌ عن تطوُّرٍ في التّصنيف؛ إذ قام عمله فيها على تشذيب عمل ابن إسحاق في المغازي.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ١٦-١٧.

الثّالث: أنَّ عمل ابن هشـــام هذا فتح البابَ لمن جاء بعده، فمضى على إثره المصـــنفون شرقًا وغربًا خلال الأجيال المتعاقبة، حتَّى كاد يغيب اسم المغازي في سياق التّصانيف المستفيضة في السّيرة[٢].



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

[٢] ما رواه محمد بن إسحاق: مطاع الطّرابيشي، دار المأمون، الأردن، عمان، د.ت: ٤١.